

القانون التجاري اللبناني
والشركة التي من نال البوزان

لابن الصيرفي

تأج الرئاسة: أين الدين أبو الفاسم على بن نجيب بن هيمان الكاتب

١٨١١ - ١١٤٧ هـ

حَقَّقْتَهُمَا وَكَبَّتْ مُقَدِّمَتَهُمَا وَحَوَّاشِيَهُمَا وَوَضَعَ فِيهَا رُسُومَهُمَا

الدكتور أيمن فواد سيّد



الدار المصرية اللبنانية

القانون في معرفة السجدة

والإشارة إلى معنى السجدة

لابن العربي

جَمِيعُ حُقُوقِ الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ مَحْفُوظَةٌ
الطَّبْعَةُ الْأُولَى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



طبعة • نشر • توزيع

الدار المصرية اللبنانية

١٦ شارع عبد الخالق شوبت - تلخيفون ٢٩٢٢٥٢٥ - ٢٩٢٦٧٤٢ برفقيا دار شادو - ص ب : ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH

PRINTING-PUBLISHING-DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT st. p o. Box: 2022- CAIRO- EGYPT PHONE. 3936743-3923525 CABLE. DARSHADO

القانون في أصول الشريعة

الإشهاد إلى من نال العزائم

لابن الصيرفي

تراجم الرئاسة أمين الدين أبو القاسم علي بن محبوب بن عثمان الكا

٤٦٣ - ٥٤٢ هـ
١٠٧١ - ١١٤٧ م

حَقَّقَهُمَا وَكَتَبَ مُقَدِّمَتَهُمَا وَخَوَّاشِيَهُمَا وَوَضَعَ فَيَّارَهُمَا

الدكتور أيمن فؤاد سيد

الناشر

دار الصيرفة الإسلامية

فهرست الكتاب

صفحة	
*٢٦ - *١ مُقَدِّمَةٌ
*١١ - *٢ الْقَائِنُونُ فِي دِيْوَانِ الرِّسَالِ
*٢ مَوْضُوعُ الْكِتَابِ
*٥ مَصَادِرُ الْكِتَابِ
*٦ نَقُولُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْكِتَابِ
*١٠ - *٦ دِيْوَانُ الْإِنشَاءِ فِي الْعَصْرِ الْفَاتِمِيّ
*١٠ مَخْطُوطَةُ الْكِتَابِ وَنَشْرَتُهُ
*٢٠ - *١١ الْإِشَارَةُ إِلَى مَنْ نَالَ الْوَزَارَةَ
*١١ مَوْضُوعُ الْكِتَابِ
*١٦ مَصَادِرُ الْكِتَابِ
*١٨ نَقُولُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْكِتَابِ
*١٩ مَخْطُوطَةُ الْكِتَابِ وَنَشْرَتُهُ
*٢٥ - *٢٠ مُؤَلَّفَاتُ الْكُتَّابِينَ
*٢٠ سِيرَتُهُ
*٢٣ مُؤَلَّفَاتُهُ
*٢٥ طَرِيقَتِي فِي إِخْرَاجِ النَّصِّ
*٢٧ الرَّمُوزُ وَالْإِخْتِصَارَاتُ
*٢٨ - *٢٩ اللُّوْحَاتُ

الْقَائِنُونُ فِي دِيْوَانِ الرِّسَالِ

٦ - ٣ [مُقَدِّمَةٌ]
٦ فَصْلُ ١ - فِي الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهَذَا الْكِتَابِ
٧ - ٦ فَصْلُ ٢ - فِي الْمَنْفَعَةِ بِهَذَا الْكِتَابِ

صفحة

١٤ - ٧	فصل ٣ - في الأحوال التي يجب أن يكون عليها رئيس هذا الديوان ، وما ينبغي أن يكون حاصلًا عنده من العلوم والمعارف والأخلاق ، وما يرجى من الانتفاع بالمصالح ويخشى من ضرر ضده
٢٠ - ١٥	فصل ٤ - فيما يختص متولّي ديوان الرسائل بالنظر فيه من الأعمال التي يقوم بها غيره
٢٢ - ٢٠	فصل ٥ - في مَنْ ينبغي أن يُستخدم لتخريج الكتب الواردة
٢٤ - ٢٢	فصل ٦ - في صفة من يجب أن يُستخدم برسم الإنشاءات
٢٦ - ٢٥	فصل ٧ - في مَنْ ينبغي أن يُستخدم في المكاتب عن الملك إلى الملوك المماثلين له والمخالفين للغة وولته
٢٧	فصل ٨ - في مَنْ ينبغي أن يُستخدم لمكاتبة رجال الدولة وكبرائها
٢٩ - ٢٨	فصل ٩ - في مَنْ ينبغي أن يؤهل لكتب المتأشير والكتب اللطاف والنسخ
٢٩	فصل ١٠ - في مَنْ ينبغي أن يكون منتصبًا في هذا الديوان
٣٠ - ٢٩	فصل ١١ - في مَنْ ينبغي أن يُستخدم متصفًا لما يُكتب إعانة لمتولّي الديوان
٣٤ - ٣٠	فصل ١٢ - فيما ينبغي أن يوضع في هذا الديوان من الدفاتر والتذاكر وصفة مَنْ ينبغي أن يُعزق به ذلك
٣٨ - ٣٤	فصل ١٣ - في مَنْ ينبغي أن يُستخدم خازنًا لهذا الديوان وما مقتضى خدمته
٣٩ - ٣٨	فصل ١٤ - فيما يختص بالتوقيعات
٤١ - ٣٩	فصل ١٥ - في التوقيعات في رقاع المظالم خاصة

* * *

الإشارة إلى مَنْ نال الوزارة

٤٧ - ٤٥	[مُقَدِّمَةٌ]
٥٥ - ٤٧	خِلافةُ الإمام العزيز بالله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
٥٢ - ٤٧	الوزير أبو القَراج يعقوب بن كِلَس
٥٣	تَجْبُرُ بن القاسم
٥٥ - ٥٤	أبو الحسن على بن عمر العَدَّاس
٥٥	خِلافةُ الإمام الحاكم بأمر الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
٥٧ - ٥٦	أَمِينُ الدَّوْلَةِ أبو محمد الحسن بن عَمَّار بن أبي الحسين

فهرست الكتاب

ز

صفحة	
٥٨ - ٥٧ الأستاذ بَرَجَوَان
٥٨ قائد القُوَادِ الحسین بن القائد جوهر والرئيس أبو العلاء فهد بن إبراهيم
٥٩ الشَّافِي زُرْعَةَ بن [عيسى] بن تَسْطُورس
٦١ - ٥٩ أمين الأَمَنَاءِ أبو عبد الله الحسین بن طاهر الوَزَّان
٦١ الحسین وعبد الرحمن ابنا أبي السَّيِّد
٦٢ - ٦١ أبو العباس الفَضَّل ابن الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ابن الفَرَات
	وزير الوزراء ذو الرئاستين الأمير المُظَفَّر قُطْب الدولة أبو الحسن علی بن جعفر بن
٦٣ - ٦٢ فَلَاح
٦٤ الأمين الظهير شرف المُلْك تاج المعالی ذو الجدين صاعد بن عيسى بن تَسْطُورس
٦٤ الأمير شمس المُلْك المکین الأمين أبو الفتح المسعود بن طاهر الوَزَّان
٦٥ الأمير الخطير رئيس الرؤساء أبو الحسین عَمَّار بن محمد
٦٩ - ٦٥ خِلَافَةُ الإمام الظَّاهر لإعزاز دين الله صلى الله عليه
٦٥ الأمير رئيس الرؤساء خطير الملك أبو الحسین عَمَّار بن محمد
٦٦ بدر الدولة أبو الفتح موسى بن الحسن
٦٧ - ٦٦ الأمير شمس الملك المکین الأمين أبو الفتح المسعود بن طاهر الوَزَّان
٦٧ عميد الدولة وتاصيحتها أبو محمد الحسن بن صالح الرُّوذِبَارِي
٦٩ - ٦٨ الوزير الأَجَل الأُوْحَد صفى أمير المؤمنين وخالسته أبو القاسم علی بن أحمد الجَزَجَرَانِي
١٠٠ - ٦٩ خِلَافَةُ المُسْتَنْصِر بالله صلى الله عليه
٧٠ - ٦٩ الوزير الأَجَل أبو القاسم علی بن أحمد
	الوزير الأَجَل تاج الرئاسة فخر الملك مصطفى أمير المؤمنين أبو منصور صَلْتَقَةَ بن يوسف
٧٢ - ٧١ الفَلَاحِي
	سيد الوزراء يظهر الأمة سماء الخلفاء فخر الأمة أبو البركات الحسین [بن محمد بن
٧٣ - ٧٢ أحمد الجَزَجَرَانِي]
٧٣ عميد المُلْك زين الكفاة أبو الفضل صاعد بن مسعود
	الوزير الأَجَل الأُوْحَد المکین سيد الوزراء تاج الأَصْفِيَاءِ قاضى القضاة وداعى الدعاة
	عَلَم المَجْد خالصة أمير المؤمنين أبو محمد الحسن بن علی بن محمد بن عبد الرحمن
٨١ - ٧٣ اليَازُورِي

صفحة

- الوزير الأجلُّ الأُسْعَدُ المَكِينُ الحَفِيظُ الأُمَجدُ الأَمِينُ عميدُ الحِلافةِ جلالُ الوزراءِ تاجُ
 المملكةِ وزرُ الإمامةِ شرفُ المِلمةِ كَفيلُ الدينِ خليلُ أميرِ المؤمنينِ وخالصةُ أبو الفرج
 ٨٣ - ٨٢ عبد الله بن محمد البابل
- الوزير الأجلُّ الكاملُ الأُوحدُ صفى أمير المؤمنين وخالصة أبو الفرج محمد بن جعفر
 ٨٥ - ٨٣ المغربى
- الوزير الأجلُّ العادلُ الأميرُ شرفُ الوزراءِ سيّدُ الرؤساءِ تاجُ الأصفياءِ عزّ الدين مغيثُ
 ٨٦ - ٨٥ المسلمين خليلُ أميرِ المؤمنينِ وخالصةُ وصفوته عبد الله بن يحيى المُدَبِّرُ
- الوزير الأجلُّ فخرُ الوزراءِ عميدُ الرؤساءِ قاضى القضاةِ وداعى الدُعاةِ مجدُ المعالى كَفيلُ
 ٨٦ الدينِ يمينُ أميرِ المؤمنينِ وصفوته عبد الكريم بن عبد الحاكِمِ
- أبو على أحمد بن عبد الحاكِمِ بن سعيد
 ٨٧
- الوزير السَيِّدُ الأجلُّ الكاملُ الأُوحدُ أبو عبد الله الحسين بن سديدِ الدُّولةِ ذو الكفائتين
 ٨٨ - ٨٧ الوزير الأجلُّ الأُوحدُ سيّدُ الوزراءِ مجدُ الأصفياءِ قاضى القضاةِ وداعى الدُعاةِ خليلُ أميرِ
 ٨٨ المؤمنينِ أبو أحمد أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكِمِ
- الوزير الأجلُّ الأُوحدُ الأُسْعَدُ تاجُ الوزراءِ الأَمِينُ المَكِينُ شرفُ الكفاةِ ذو المفاخر خليلُ
 ٨٩ أميرِ المؤمنينِ وخالصةُ أبو غالب عبد الطاهر بن فضّل المعروف بابن العَجَمِي
 الوزير الأجلُّ الأُوحدُ حلالُ الإسلامِ ظهيرُ الإمامِ قاضى القضاةِ وداعى الدُعاةِ شرفُ
 المجد خليلُ أميرِ المؤمنينِ وخالصةُ الحسن بن القاضى ثقه الدُّولةِ وسنّاؤها المعروف
 ٩٠ - ٨٩ بابن كُذَيْبَةَ
- وزير الوزراءِ العادلُ خليلُ أميرِ المؤمنينِ أبو المكارم المُشرفُ بن أسعد من صَنائِعِ الوزير
 ٩٠ أبى الفَرَجِ البابلِ وخواصّه
- العميدُ عَلَمُ الكفاةِ أبو على الحسن بن أبى سعد إبراهيم بن سهل التُّسْتَرِي
 ٩١
- الوزير الأجلُّ سيّدُ الوزراءِ تاجُ الأصفياءِ ذخيرة أمير المؤمنين أبو القاسم هبة الله بن محمد
 ٩١ الرَّعِيائى
- الأثيرُ كافي الكفاةِ أبو الحسن على بن الأثيرى
 ٩١
- الوزيرُ الأجلُّ تاجُ الرئاسةِ عَلَمُ الدينِ سيّدُ السُّاداتِ أبو على الحسن بن سديدِ الدُّولةِ
 ٩٢ ذو الكفائتين الماشيلى
- الأجلُّ المُعْظَمُ فخرُ الملكِ أبو شجاع محمد بن الأشرف
 ٩٢
- الإجلُّ الوجيه سيّدُ الكفاةِ نفيسُ الدُّولةِ ظهيرُ أميرِ المؤمنينِ أبو الحسن طاهر بن وزير
 ٩٢ القادر العادل شمس الأُمِّ سيّدُ رؤساءِ السيفِ والقلمِ تاجُ العُلَمَى عميدُ الهُدَى شرفُ الدينِ
 ٩٣ غياثُ الإسلامِ والمسلمين حميمُ أميرِ المؤمنينِ وظهيره أبو عبد الله محمد بن أبى حامد

صفحة	
٩٣	الأجل الأُوحد المكين السيّد الأفضّل الأمين شرف الكفافة عميد الخلافة محبّ أمير المؤمنين أبو سعد منصور المعروف بابن زُلبور
٩٤	الصّادق المأمون مكين الدولة وأميتها أبو العلاء عبد الغنى بن نصر بن سعيد الضيّف
٩٤ - ٩٧	السيّد الأجلّ أمير الجيوش سيّف الإسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصرى ..
٩٧ - ١٠٠	السيّد الأجلّ الأفضّل سيّف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه بن السيّد الأجلّ أمير الجيوش بدر المستنصرى ...
١٠١ - ١٠٠	خِلافةُ الإمام المُستعلّى بالله صلّى الله عليه
١٠١ - ١٠٠	السيّد الأجلّ الأفضّل
١٠٧ - ١٠١	خِلافةُ الإمام الأمر بأحكام الله عليه السلام
١٠٣ - ١٠١	السيّد الأجلّ الأفضّل
١٠٧ - ١٠٣	السيّد الأجلّ المأمون تاج الخلافة عزّ الإسلام فخر الأنام نظام الدين خالصة أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن الأجل نور الدولة أبى شجاع الأمرى
١٢١ - ١٠٩	مَلَاجِقُ الكِتَاب
١١٢ - ١١١	سِجِلُّ بَتهِرير قتل الخليفة الحاكم بأمر الله لوزيره بَرَجَوَان
١١٧ - ١١٣	سِجِلُّ تَقْلِيد أبى القاسم على بن أحمد الجَرَجَرَانِى الوِزارة للخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الصّادق فى ١٢ ذى الحجة سنة ٤١٨هـ
١٢١ - ١١٨	السِّجِلُّ الذى كتبه ابن الصّيرفى بانتقال الخليفة المُستعلّى وولاية الخليفة الأمر بأحكام الله سنة ٤٩٥هـ
١٣٤ - ١٢٣	تَبَيّن المصادر والمَرَاجِع وبيان طبعاتها
١٤٨ - ١٣٥	فهارس الكتاب
١٤٣ - ١٣٧	الأعلام
١٤٤ - ١٤٣	الأماكن والمواضع
١٤٦ - ١٤٥	المصطلحات والوظائف
١٤٧ - ١٤٦	الطوائف والجماعات
١٤٨ - ١٤٧	أسماء الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

من أهم مصادر العصر الفاطمي التي وصّلت إلينا ، مؤلفات علي بن مُنْجَب ابن سليمان المعروف بابن الصَّيرَفِي رئيس ديوان الإنشاء الفاطمي في عهدى الخليفة الأمر بأحكام الله والخليفة الحافظ لدين الله الفاطميين . وترجع أهمية هذا المؤلف إلى أنه عاش في بلاط الخلفاء وكتب أغلب السُّجَّلات ، التي وصّلت إلينا ، وصدّرت في العقود الأولى للقرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى .

وتحوى النشرة التى يبين يديك الآن ، كتابان من أهم مؤلفات ابن الصَّيرَفِي سبق نشرهما فى أوائل هذا القرن . أحدهما ، وهو « القانون فى ديوان الرسائل » طُبِع بالقاهرة فى سنة ١٩٠٥ بعناية الأثرى الراحل على بك بهجت ، وهو قليل الوجود حتى فى المكتبات العامة . ويتناول موضوعًا هامًا ، هو الشروط التى يجب أن تتوفر فىمن يتولّى ديوان الرِّسائل ومن يجب أن يكون تلوه فى المنزلة من المستخدمين ومعاونهم .

والآخر هو « الإشارة إلى مَنْ نال الوزارة » ذكر فيه وزراء الفاطميين من ابن كِلْس وحتى المأمون ابن البطائحي الذى أهدى له الكتاب ، وقد نشره عبد الله مخلص فى سنة ١٩٢٥ فى مجلة المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ، ثم أعادت نشره بالتصوير سنة ١٩٦٣ مكتبة المثنى ببغداد .

وما كُشِفَ من مصادر العصر الفاطمي فى الفترة الأخيرة ، وما ظهر من دراسات حول « ديوان الإنشاء » و« نظام الوزارة الفاطمي » ، وخاصة مؤلفات المُسَبِّحِي وابن المأمون وابن ظافر وابن ميسر وابن أيك الدوادارى وأبى المحاسن ابن تُغْرَى بُردى وكتابى اتعاظ الحنفاً والمُقفى الكبير للمقرئى تجعل إصدار طبعة

جديدة لهذين الكتابين ضرورة علمية مُلِحَّة حتى تكتمل سلسلة مصادر تاريخ الفاطميين في مصر^(١).

١ - القَائُون فِي دِيَوَانِ الرِّسَائِلِ

مَوْضُوعُ الكِتَابِ

يعد أبو الحسن علي بن خَلْفِ بن علي بن عبد الوهاب أول من أَلَّفَ في فن الكتابة الديوانية في مصر الإسلامية . وقد عاش علي بن خَلْفِ في النصف الأول من تاريخ الدولة الفاطمية و « كان من كبار رجال دولتهم »^(٢) ، وألَّفَ كتابه في عصر المستنصر بالله ، ولكننا لا نعرف تاريخ وفاته على وجه التحقيق ، إلا أنه كان موجودًا في سنة ٤٣٧ / ١٠٤٥^(٣) .

ورغم أن القلقشندى لا يعدّه من بين كُتَّابِ الإنشاء في الدولة الفاطمية^(٤) ، فالواضح أنه شغل هذه الرتبة فترة طويلة جعلته يؤلِّفُ كتابه « مَوَادِ البَيَانِ » في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية^(٥) . ومن يُطالع كتاب « صُبْحِ الأَعْشَى » للقلقشندى يستطيع أن يلحظ أن هذا الكتاب من أهم مصادرهِ عن نظم ديوان الرِّسَائِلِ والمكاتبات في العصر الفاطمي الأول ، وتَقَلَّ عنه أُمثلةٌ كثيرة مقبسة من أصولها توضِّح كيفية إنشاء مراسلات الخلفاء في ذلك الوقت .

(١) حول مصادر العصر الفاطمي راجع للمحقق : « دراسة نقدية لمصادر تاريخ الفاطميين في مصر » ، دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٨٢ ، ١٢٩ - ١٧٩ . وقد أعددت للطبع كذلك كتابي « نَزْهَةُ المُقَلَّتَيْنِ فِي أَحْبَابِ الدَوْلَتَيْنِ » لابن الطُّوَيْرِ القَيْسِرَانِي ، و« الذَّخَائِرُ وَالتَّحْفُ » المجهول المؤلف .

(٢) القلقشندى : صبح ٦ : ٤٣٢ .

(٣) علي بن خلف : مواد البيان ٥٦٢ .

(٤) القلقشندى : صبح ١ : ٩٦ .

(٥) نفسه ١٠ : ٣٨٩ .

وحاول مؤلف « مَوَادِّ الْبَيَّانِ » أن يُقنِّنَ لفن الكتابة بوجه عام ، ولفن كتابة الإنشاء في العصر الفاطمي بوجه خاص . فهو يضع القوانين وَيَقَعِدُ القواعد التي يجب أن تُتَّبَع عند كتابة كل نوع من أنواع الرسائل والوثائق : كيف تبدأ ، وكيف يكون السياق فيها ، وكيف تُحْتَم ، ثم يورد بعد كل قاعدة نماذج إيضاحية^(١) .

ولا توجد من هذا الكتاب سوى نسخة خطية واحدة محفوظة في مكتبة الفاتح باستامبول تحت رقم ٤١٢٨ تقع في ٢٠١ ورقة كتبت في القرن السابع الهجري تقريباً ، ومنها مصوِّرة على الميكروفلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٨٤٢ أدب : ويضم الكتاب في الأصل عشرة أبواب ، ولكن هذه النسخة تنقص البابين التاسع والعاشر اللذين يمكن استكمال أجزاء منهما من عند القلقشندى في « صبح الأعشى » .

وقد قام بدراسة هذا الكتاب والتدليل على أهميته عددٌ من العلماء ، أسبقهم المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال الذي قدَّم عنه في سنة ١٩٥٨ تعريفاً في كتابه « مجموعة الوثائق الفاطمية » ولكنه لم يتمكن من دراسته دراسة وافية لوصول مصورة الكتاب إليه أثناء طباعة الكتاب^(٢) . وفي سنة ١٩٧٣ كتب عنه الدكتور عبد الحميد صالح حمدان مقالاً موسعاً في مجلة *Arabica*^(٣) . ثم كتب عنه المستشرق بونيببكر دراسة أكثر تفصيلاً تناولت موضوعات الكتاب وأبوابه في مجلة « حوليات المعهد الشرقي في نابولي » سنة ١٩٧٧^(٤) . وأخيراً نشر هذا الكتاب

(١) الشيال ، جمال الدين : مجموعة الوثائق الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ١ : ٩ ، ١١٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ٩ ، ١١٤ - ١١٥ .

(٣) Abd al-Hamid Saleh , « Une source de Qalqasandi *Mawâd al- Bayân* , et son auteur 'Ali b.

· Halaf » , *Arabica* XX (1973) , pp. 192 - 200

(٤) Bonebakker , S. A. , « A Fatimid manual for Secretaries » . in *Annali del Istituto Orientale*

di Napoli XXXVII (1977) , pp. 295- 337 .

واستدرك عليه النصوص التي أوردها القلقشندي في « صبح الأعشى » الدكتور حسين عبد اللطيف وصدر عن جامعة الفاتح بليبيا سنة ١٩٨٢ . ثم أعاد نشره في مجلة المورد العراقية الدكتور حاتم صالح الناشر الذي أن يَعْلَم بطبعة الدكتور عبد اللطيف^(١) .

وفي النصف الثاني للدولة الفاطمية أُلّف تاج الرئاسات من قبل الدين أبو القاسم علي ابن مُنْجَب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي كتاب « القانون في ديوان الرّسائل » اهتم فيه بذكر الشروط التي يجب أن تتوفر في موظفي هذا الديوان وتوضيح تنظيمه الداخلي . يقول « وبيّنت الأمر فيه على ما يقتضيه حكم البلاد المصرية المتعارف فيها الآن دون غيره من الأوقات »^(٢) .

وهذا مما يُميّز « قانون » ابن الصيرفي ، فالكتب المؤلفة عن ديوان الإنشاء تحوى في أغلبها مجاميع مُبسّطة لِمَآذَج الكتابة الديوانية ، أو بمعنى أدقّ صيغ لا نجد فيها مواد عن تاريخ ديوان الإنشاء إلا عند قراءة النص وبالصدفة . وبالمقابل فإن الكتب الفنية التي قصد مؤلفوها مباشرة عرض وظيفة كاتب الإنشاء الرسمية أو سائر كتّاب الدواوين ونظمها ، قليلة جدًا أهمها كتاب ابن الصيرفي ، و « لَمَع القوانين المُضيّة في دواوين الديار المصرية » للنابلسي ، و « قوانين الدواوين » للأُسعد بن مَمّاتي . ورغم أن القلقشندي والمقرّيزي والسيوطي قد نقلوا الكثير من السجّلات والمناسير معزوًا إلى ابن الصيرفي . فإن القلقشندي لم يتعرّف مباشرة على كتاب « القانون في ديوان الرّسائل » ، وإنما أثبت ما اقتبس منه ، وهو كثير ، من « تذكّرة » أبي الفضل الصوري ، الذي يبدو أنه نقل « قانون » ابن الصيرفي في

(١) مجلة المورد مج ١٧ / ١ (١٩٨٨) ١٤٣ - ١٧٢ وما بعدها من أعداد .

(٢) فيما يلي ص ٦ .

مقدمة تذكرته دون الإشارة إليه . وقد نقل القلقشندى كذلك بعض السجلات التي أنشأها ابن الصيرفي ونسبها إلى أبي الفضل الصوري .

ورغم مراجعتي للعديد من المصادر والمطان فلم أستطع التعرف على شخصية أبي الفضل الصوري هذا . فلم أعرف اسمه كاملاً ولا في أي قرن عاش ، كما أن حاجي خليفة وبروكلمان لم يشارا إلى « تذكرته » ، التي يبدو أنها من نوع « تذكرة » الصلاح الصفدي ، وجمع فيها نصوصاً كاملة متفرقة في موضوع الكتابة الديوانية .

كذلك فإن المؤلفين الذين ترجموا لابن الصيرفي لم يذكروا بين مؤلفاته كتاب « القانون في ديوان الرسائل » .

وكان الشائع أن ابن الصيرفي ألف كتابه للوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي^(١) ، ولكن دراسة ألقاب الوزير الذي أهدى له ابن الصيرفي الكتاب ، تثبت أنه الوزير أبو علي الأفضل المعروف بكثيفات ، الذي قاد انقلاباً تولّى في أعقابها السلطة في الفترة بين ذى القعدة سنة ٥٢٤ والمحرم سنة ٥٢٦ .

وتبدو صعوبة هذا النص خاصة لمن لم يتعود على دراسة هذه النوعية من المؤلفات ، التي تعد بمثابة دساتير لمعرفة قواعد اختيار من يجب أن يتولّى رئاسة هذا الديوان ، ومن يجب أن يكون تلوه في المنزلة من المستخدمين ومعاونهم .

مصادر الكتاب

مصادر ابن الصيرفي في هذا الكتاب قليلة لا تتعدى ثلاثة كتب أوردها فقط للإستشهاد وضرب الأمثال وهي : « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » لأبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ / ١٠٣٨ ، و « سلطانيات » أبي إسحاق إبراهيم

(١) على بهجت : قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي ٩٠ هـ

مقدمة

ابن هلال الصائبي المتوفى سنة ٣٨٤ / ٩٩٤ ، و « جواب المُعْنِت » لأبي الحسن على بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة المتوفى بعد سنة ٣١٠ / ٩٢٢ . وهي مفقودة فيما عدا « يتيمة الدهر » الذي طُبِعَ أكثر من مرّة .

تُقولُ المتأخّرين من الكتاب

أما نقول المتأخّرين من الكتاب فلم أجد سوى القلقشندي قد نقل أكثر من نصف كتاب ابن الصيرفي . ولكنه ، كما سبق أن أوضحت ، لم يعتمد مباشرة على أصل كتاب ابن الصيرفي وإنما نقل ما أورده عنه اعتمادًا على « تذكيرة » أبي الفضل الصوري ، مع تقديم وتأخير في ترتيب أبواب الكتاب .

ديوانُ الإنشاء في العصر الفاطمي

أشار الكثير من الباحثين من قبل إلى افتقار العالم الإسلامي ، بالمقارنة بأوروبا ، إلى دور الأرشيف التي تحفظ سبجلات الدولة ووثائقها الرسمية . والوثائق التي يستخدمها الباحث في تاريخ مصر الإسلامية تتألف من نوعين من النصوص : نصوص أصلية حفظتها لنا أوراق البردي المتوفرة بكثرة من القرون الأولى للهجرة ، ويتعلّق أغلبها بالإدارة المالية ونظام الأراضي وبالمراسلات المتبادلة بين أفراد من الخاصة . والنوع الثاني المؤلفات النظرية التي قعدت للكتابة الديوانية الإنشائية بما حوت من نماذج ونسخ للسبجلات الأصلية .

وفي عصر الولاة لم يكن للولاة عناية « بديوان الرّسائل » أو « الإنشاء » ولكن باستقلال أحمد بن طولون بحكم مصر سنة ٢٥٤ (مع الاعتراف بالتبعية الإسمية لبغداد وسامرا) عمل على إعادة تنظيم الإدارة المصرية ورتّب بها ديوانًا للرسائل (أو الإنشاء) على النمط المعمول به في بغداد وسامرا^(١) .

(١) القلقشندي : صبح ١ : ٩٥ .

وللأسف فإننا لا نملك أية وثائق أو مراسلات رسمية ترجع إلى هذه الفترة ، ولكن أول معلومات نعرفها عن مراسلة تمت بين حُكَّام مصر وأحد حُكَّام الدول الأجنبية ، ترجع إلى زمن محمد بن طُغج الإخشيد (٣٣٢ - ٣٣٥) ، وهي عبارة عن ردّ على كتاب كان قد بعثه إليه الإمبراطور البيزنطي رومانوس لكابينوس Romanus Lucapinus . وقد وصل إلينا نص هذا الكتاب في روايتين حفظهما لنا ابن سعيد المغربي والقلقشندی^(١) .

وازدهر ديوان الإنشاء في مصر في عصر الفاطميين واهتم به خلفاؤهم . ومعلوماتنا عن الذين تولوا هذا الديوان ، والسُجَّلات والمناشير والتقاليد التي خرجت منه غير قليلة ، أولاً : بفضل العدد الوفير من السُجَّلات والمناشير الأصلية التي وصلت إلينا (وثائق دير سانت كاترين) ، أو نُسخ الكتب والمراسلات التي وُردت في كتب الحوليات ، وثانياً : بفضل المؤلفات النظرية التي تُقدِّم لنا ما يجب أن يتَّبَع في هذا الديوان والتزامات المستخدمين به ، والشروط الواجب توافرها فيهم كمؤلفات على بن خَلَف وابن الصيرفي .

ووفقاً لما جاء في مقدّمة كتاب ابن الصيرفي فإنه أراد بكتابه أن يكون قانوناً يسترشد به العاملون بهذا الديوان . وإذا كان المستخدمون قد التزموا بالفعل بهذه القواعد ، فإن كتاب ابن الصيرفي قد ترك الكثير من المسائل الهامة دون إجابة . فنحن لا نعرف بدقة كيف كان التنظيم الداخلي للديوان ، ولا على أي نموذج صاغ ابن الصيرفي مقترحاته ؟ وهل أعدّها بنفسه أو قلّد فيها ديوان بغداد أو حتى بيزنطة ؟ فقد لاحظ بعض الباحثين وجود تشابه بين هذه القواعد وما كان متبعاً في بيزنطة ، وإذا كان ذلك صحيحاً فإننا لا ندرى كيف وصل علمها إلى ابن الصيرفي^(٢) .

(١) ابن سعيد : المغرب ١٦٧ - ١٧٢ ، القلقشندی : صبح ٧ : ١٠ - ١٨ ، Une ، Canard , M., « lettre de Muhammad Ibn Tugj al-Ihsid emir d'Egypte à l'empereur Lécapène » , AIEO II (1936) pp. 189 - 209 ، سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ٣٢٥ - ٣٣٣ .

(٢) Björkman , W., *Et.*, art . *Diplomatique* II , p. 313

وقد مدّنا ابن الصيرفي ببعض التفاصيل عن التزامات المستخدمين وسير العمل داخل الديوان ، الذي أطلق عليه « ديوان الرسائل » وهي التسمية التي كانت تُطلق على الديوان^(١) ، ثم حلّ محلّها نهائياً ابتداءً من القرن الرابع مصطلح « ديوان الإنشاء » ، وقد سمّى ابن الصيرفي الديوان في كتابه « الإشارة » « ديوان الإنشاء »^(٢) . ومصادر العصر الفاطمي التي وصلت إلينا جميعها تُطلق على هذا الديوان « ديوان الإنشاء » وأحياناً « ديوان المكاتبات »^(٣) . بل إنه في بعض المواضع يُذكر متولّي ديوان الإنشاء بجانب متولّي ديوان المكاتبات^(٤) ، ولكننا لا نقابل إطلاقاً مصطلح « ديوان الرسائل » إلا في رسالة ابن الصيرفي .

والوظائف التي أشار إليها ابن الصيرفي هي :

- رئيس الديوان ويقال له متولّي الديوان أو صاحب الديوان وكان يخاطب بالأجل^(٥) ويلقب « بكاتب الدست الشريف »^(٦) .
- كاتب ينوب عن رئيس الديوان في تلخيص ما يرد من الكتب ، ليسهل على لرئيس عرضها من غير إخلال بها .
- كاتب يُنشىء ما يُكتب من المكاتبات ، هو أجل المستخدمين في الديوان .
- كاتب يتولّى المكاتبه عن الملك إلى الملوك المماثلين ، وهو أعظم منزلة من كاتب الإنشاء وأعلى درجة .
- كاتب يكتب مكاتبات رجال الدولة وكبرائها من الولاة والأجناد والقضاة والكتاب والمشارفين ، وإنشاء تقليدات ذوى الخدم الصغار .

(١) القلقشندي : صبح ١ : ١٠٣ .

(٢) فيما يلي ص ٨٥ .

(٣) ابن المأمون : أخبار ٢٧ ، ٥٢ ، ١٠٣ ، ابن ميسر : أخبار ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٩٠ ،

المقرزي : اتماظ ٣ : ١٩٤ .

(٤) نفسه ٥٢ ، نفسه ٩٠ .

(٥) نفسه ٥٢ ، القلقشندي : صبح ١ : ١٠٢ ، ١٠٣ (عن ابن الطوير) ، المقرزي : الخطط ٢ : ٨٦ .